الفصل الثالث والستون بعد المئة

شعراء يثرب

قال (ابن سلام) : « شعراؤها الفحول خمسة : ثلاثة من الخزرج واثنان من الأوس . فمن الخزرج ، من بني النجار حسان بن ثابت ، ومن بني سلمة، كعب بن مالك ، ومن بلحارث بن الخزرج : عبدالله بن رواحة ، ومن الأوس: قيس بن الخطيم من بني ظفر ، وأبو قيس بن الأسلت من بني عمرو بن عوف»[1]. وهناك شعراء آخرون لكنهم لم يبلغوا مبلغ هؤلاء في الشعر ، منهم : (أحيحة بن الجلاح) و (سويد بن الصامت) ، و (أبو قيس مالك بن الحارث)وآخرون .

ونسبوا لأبي آمنة جدّ النبي قوله :

وإذا أتيت معاشراً في مجلسٍ فاختر مجالسهم ولما تقعد
ولكل أمر يستعاد ضراوة فالصالحات من الأمور تعوّد[2]

ويعد (مالك بن العجلان) الخزرجي في جملة شعراء يثرب ، ذكر انه القائل للربيع بن أبي الحقيق اليهودي من أبيات :

إني امرؤ من بني سالم كريم وأنت امرؤ من يهود

---

١ طبقات (٥٢) .
٢ المصون (١٨٩) .

فأجابه الربيع من أبيات أولها :

أتسفه قيلة أحلامهـا وحان بقيلة عثر الجدود[1]

وفيه يقول الشاعر (عمرو بن امرىء القيس) من بني الحارث بن الخزرج، من شعراء الجاهلية :

يا مالِ والسيد المعمم قد يبطره بعد رأيه السرفُ
نحن بما عندنا وأنت بما عندكَ راضٍ والرأي مختلفُ[2]

وهو من مشاهير سادة (يثرب) ، وله ذكر في نزاع أهل يثرب مع اليهود ، وفي حرب (سمير) بين الأوس والخزرج . وهو قاتل (الفطيون)[3] .

وعمرو بن الإطنابة من شعراء (يثرب) ، وهو من الخزرج ، وهو شاعر فارسي قديم ، خرجت الخزرج معه وخرجت الأوس وأحلافها مع (مُعاذ بن النعمان) في حرب كانت بين الأوس والخزرج . وذكر ان حسان بن ثابت جعله أشعر الناس ، لقوله :

إني من القوم الذين اذا انتدوا بدأوا بحق الله ثم النائل
المانعين من الخنا جيرانهم والحاشدين على طعام النازل
والخالطين فقيرهم بغنيهـم والباذلـين عطاءهم للسائل
لا يطبعون وهم على أحسابهم يشفون بالأحلام داء الجاهل
القائلين ولا يعاب خطيبُهم يومَ المقامة بالكلام الفاصل

ومن شعره :

أبت لي عفتي وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإكراهي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح

---

١ المرزباني ، معجم (٢٥٦) .
٢ والشعر يختلط أبياته بابيات قصيدة أخرى لقيس بن الخطيم ، وأخرى لمالـك بن العجلان ، البيان والتبيين (٣/١٠٠) ، جمهرة أشعار العرب (١٢٧ وما بعدها) ، الجمهرة (١٢٢) ، ديوان قيس بن الخطيم (١٦ وما بعدها) .
٣ الاشتقاق (٢/٢٧٠) .

ويقال إن معاوية قال : « لقد وضعت رجلي في الركاب يوم صفين وهممت بالفرار ، فما منعني من ذلك إلا قول ابن الإطنابة » الشعر المذكور[1] .

ونسب (أبو الفرج) الاصبهاني الى (أحيحة بن الجلاح بن الحريش «الجريش؟» ابن جحجبي بن كلفة) الأوسي قوله :

لتبكيني قنيـــة ومزمرها ولتبكيني قهوة وشاربها
ولتبكيني ناقة إذا رحلت وغاب في سريخ مناكبها

وهي أبيات قبلها :

يشتاق قلبي الى مليكـــة لو أمست قريباً لمـــن يطالبها
ما أحسن الجيد من مليكة والـ ـلّبات إذ زانها ترائبهـــا

وقد نسبها بعض آخر لعدي بن زيد العبادي،ونسبها بعض آخر لبعض الأنصار[2]. و (أحيحة بن الجلاح) ، من سادات الأوس . وكان سيدهم في زمانه . وكان شاعراً . وكانت عنده (سلمى بنت عمرو) من بني النجـار ، وأولاده منهـــا اخوة (عبد المطلب)[3] وهو من أصحاب المذهبات[4] .

وقد ذكر (ابن الشجري) ، أنه وجد في كتاب لغوي أن الشعر المـذكور منسوب الى (عدي بن زيد) ، وقد تصفح نسختين من ديوان عدي فلم يجده فيها ، وإنما وجد له قصيدة على هذا الوزن وهذه القافية أولها :

لم أرَ مثل الأقوام في غبن الأيام ينسون ما عواقبها

وذكر (البغدادي) أن (الأصبهاني) اقتبسه في (الأغاني) لأحيحة[5] .

وقد ذكر أهل الأخبـــار أن (أحيحة) كان في أيام التبع (أبو كرب بن حسان بن تبع بن أسعد) الحميري ، وأن هـــذا التبع لما عاد من العراق يريد

---

١ المرزباني ، معجم (٨ وما بعدها) .
٢ السيوطي ، شرح شواهد (٤١٧/١) .
٣ الاشتقاق (٢٦٢) .
٤ الاغاني (١١٩/١٣) ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (١٤٩/١) .
٥ الخزانة (٢٠/٢ وما بعدها) .

(يثرب) لقتل أهلها ابناً له بها ، وهو مجمع على خرابها وقطع نخلها واستئصال أهلها وسبي الذريـــة ، نزل بسفح (أحد) فاحتفر بها بئراً ، عرفت بـ (بئر الملك) ، ثم أرسل الى أشرافها ليأتوه ، فكان ممن أتاه (زيد بن ضبيعة) وابن عمه (زيد بن أمية بن عبيد) ، وكانوا يسمون (الأزياد) ، و (أحيحة بن الجلاح) . فلما جـــاء رسول التبع ، ذهب الأزياد اليه ، وكان (أحيحة) له تابع من الجن ، أخبره أنه يريد قتلهم جميعاً ، وكان لا يقول إلا صواباً ، فلما قابل التبع تحدث معه عن أمواله وعن أموال المدينة ، ثم خرج من عنده ودخل خباءه ، وكان (تبع) قد أوكل حراساً به ، فشرب وقرض أبياتاً مطلعها :

يشتاق قلبي الى مليكة أمسى قريباً لمن يطالبها

وأمر قينته أن تغنيه حتى استغفل الحرس ، ففر منهم الى أطمه (الضحيان) ، وقيـل (المستظل) ، فجرد الملك كتيبة عليه ، ثم حاصر المدينة ، فلم يتمكن منها ، إذ اعتصم أهلها من الأوس والخزرج واليهود بأطمهم ، ثم أقنعه (حبران) من أحبار يهود بكف الحصار عنها ، فرجع[1] .

وكان (أحيحـة) سيد الأوس في الجاهلية ، وكان كثير المال شحيحاً عليه يبيع بيع الربا بالمدينة ، حتى كاد يحيط بأموالهـم ، وكان له تسع وتسعون بعيراً كلها ينطح عليها ، وكان له أطمان ، أطم في قومه يقال له (المستظل) ، وأطم يقال له (الضحيان) بالعصبة في أرضه التي يقال لها الغابة ، بناه بحجارة سود ، ويزعمون انه لما بناه هو وغلام له أشرف ، ثم قال : لقد بنيت حصناً حصيناً ما بنى مثله رجل من العرب أمنع منه ، ولقد عرفت موضع حجر منه لو نزع وقع جميعاً . فقال غلامه : أنا أعرفه . قال : فأرنيه يا بني ؟ قال : هو ذا ، وصرف اليه رأسه . فلما رأى أحيحة انه قد عرفه دفعه من رأس الأطم ، فوقع على رأسه فمات[2] . وهي قصة تشبه قصة (سنمار) ، ولها شبه عنـــد اليونان . ويذكرون انه لما بناه قال :

بنيت بعد مستظل ضاحيا بنتـــه بعصبة من ماليا

---

١ الخزانة (٢/٢١ وما بعدها) ، (بولاق) ، الاغاني (١٣/١١٩) .
٢ الخزانة (٢/٢٣) ، (بولاق) .

للستر مما يتبع القواضيا أخشى ركيباً أو رجيلاً غاديا [1]

وينسب لأحيحة قوله :

استغن أو مت ولا يغررك ذو نشب من ابن عمّ ولا عمّ ولا خال
إني مقيم على الزوراء أعمرها إن الحبيب الى الإخوان ذو المال

وقوله :

وما يدري الفقير متى غناه ولا يدري الغني متى يعيل [2]

و (سويد بن صامت) أخو (عمرو بن عوف) من الأوس ومن (الكملة) ومن الأشراف أصحاب النسب ، ومن الشعراء . وكانت له أشعار كثيرة . وهو الذي ذهب اليه النبي يوم قدم مكة حاجاً أو معتمراً ليدعوه الى الإسلام ، فلما كلمه النبي قال له (سويد) فلعل الذي معك مثل الذي معي ! فقال له رسول الله وما الذي معك ؟ قال : مجلة لقمان . فقال له رسول الله : اعرضها عليّ ! فعرضها عليه ، فقال : إن هذا لكلام حسن والذي معي أفضل من هذا : قرآن أنزله الله تعالى عليّ ، هو هدى ونور . فتلا عليه رسول الله القرآن ودعاه الى الإسلام ، فلم يبعد منه . وقال : إن هذا لقول حسن ، ثم انصرف عنه . فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتله الخزرج [3] . ويشك في إسلامه [4] .

و (أبو قيس بن الأسلت) (أبو قيس بن عامر بن جشم) و (عامر) هو الأسلت ، شاعر من الأوس . اختلف في اسمه ، فقيل (صيفي) وقيل (الحرث) (الحارث) ، وقيل (عبدالله) ، وقيل (صرمة) ، واختلف في اسلامه . ذكر انه كان يدعى (الحنيف) لتحنفه . ولم يكن أحد من الأوس والخزرج أوصف لدين الحنيفية ولا أكثر مساءلة عنها منه. وكان يسأل من اليهود عن دينهم ،

---

١ الخزانة (٢/٢٣) ، (بولاق) .
٢ بلوغ الارب (٣/١٢٧) .
٣ الروض الانف (١/٢٦٥ وما بعدها) ، ابن هشام ، سيرة (١/٢٦٥ وما بعدها) ، (حاشية على الروض) ، الاغاني (٢/١٦٩) .
٤ الاصابة (٢/١٣٢) ، (رقم ٣٨١٨) ، الاستيعاب (٢/٥٩٣) ، رسالة الغفران (١٣٧) .

فكان يقاربهم ، ثم خرج الى الشأم فنزل على (آل جفنة) فأكرموه ووصلوه، وسأل الرهبان والأحبار ، فدعوه الى دينهم فامتنع ، ثم خرج الى مكة معتمراً ، فبلغ (زيد بن عمرو بن نفيل) فكلمه ، فكان يقول ليس أحد على دين ابراهيم إلا أنا وزيد بن عمرو بن نفيل . ولما قدم النبي الى المدينة جاء اليه فقال : إلام تدعو ؟ فذكر له شرائع الاسلام . فقال : ما أحسن هذا وأجمله ! فلقيه (عبدالله ابن أُبيّ بن سلول) ، فقال : لقد لذت من حزبنا كل ملاذ ، تارة تخالف قريشاً ، وتارة تتبع محمداً . فقال : لا جرم لأتبعنه الى آخر الناس . وقد اختلف في اسلامه ، والأغلب انه لم يسلم[1] . وذكر انه كاد أن يسلم ، لما اجتمع برسول الله ، ولكن كلام (عبدالله بن أبي) أثر عليه ، فقال : والله لا أسلم سنة . ثم انصرف الى منزله ، حتى مات قبل الحول ، وذلك في ذي الحجة على رأس عشرة أشهر من الهجرة[2] .

وفي سيرة (ابن هشام) قصيدة نسبت الى (أبي قيس بن الأسلت) زعم أنه وجهها لقريش ينهى فيها عن الحرب ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض ، ويذكر فضلهم وأحلامهم ، ويأمرهم بالكف عن رسول الله ، ويذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه عنهم الغيل وكيده عنهم . وأول القصيدة :

يا راكباً امـا عرضت فبلغن مغلغلة عنّي لـؤي بن غالب
رسول امرىء قد راعه ذات بينكم على النائي محزون بذلك ناصب[3]

وهو من أصحاب المذهبات ، ومطلع مذهبته :

قالت ولم تقصد لقول الخنى مهـلاً فقد أبلغت أسماعي[4]

ونسب له قوله :

ولو شا ربنـا كنّا يهوداً وما دين اليهود بذي شكول

---

١ الاصابة (٤/١٦٠ وما بعدها) ، (رقم ٩٤٤) ، الاستيعاب (٤/١٥٩ وما بعدها)، (حاشية على الاصابة) ، ابن سلام ، طبقات (٥٦) .
٢ ابن سعد ، طبقات (٤/٣٨٥) .
٣ سيرة ابن هشام (١/١٨٠) ، (حاشية على الروض) .
٤ الاغاني (١٥/١٦٠) ، الجمهرة (١٢٦) ، زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربيـة (١/١٣٩) .

ولو شا ربنا كنّا نصارى مع الرهبان في جبل الجليل
ولكنّا خلقنا إذ خلقنا حنيفاً ديننا عن كل جيل
نسوق الهدى ترسفُ مذعنات تكشف عن مناكبها الجُلول[1]

وكان (أبو قيس بن الأسلت) الأنصاري يهاجي حسان بن ثابت . وهو من الأوس ، وحسان من الخزرج ، فكانا يتهاجيان . وكان بين الحيين هجاء ، فكان شعراء كل حي ، يهاجون شعراء الحي الثاني ، عصبية ، لما كان بينهما من تحاسد وتنافر[2] .

والأسلت لقب (عامر بن جشم بن وائل بن يزيد) والد الشاعر المتقدم من الأوس ، وهو شاعر من شعراء الجاهلية ، وكانت الأوس قد أسندت أمرها في يوم (بعاث) الى (أبي قيس بن الأسلت) ، فقام في حربهم وآثرها على كل أمر آخر ، حتى أنهكته وشحب لونه . وقال (ابن حجر) ان اسم (أبي قيس ابن الأسلت) (صيفي) ، وقيل (الحارث) ، وقيل (عبدالله) ، وقيل (صرفة) ، وقيل غير ذلك . واختلف في اسلامه . فمنهم من صيره مسلماً ، وجعله في عداد الصحابة ، ومنهم من جعله متألهاً حنيفاً على دين ابراهيم ، وكان يقول : ليس أحد على دين ابراهيم إلا أنا وزيد بن عمرو بن نفيل ، ومنهم من زعم انه قال : والله لا أسلم الى سنة ، فمات قبل الحول على رأس عشرة أشهر من الهجرة بشهرين ، وذكر انه هرب الى مكة فأقام بها مع قريش الى عام الفتح[3]. وللعصبية دور في هذه الروايات ، ترد في رجال آخرين من أهل يثرب ومن أهل مكة ، تقدم روايات منها رجالاً في الاسلام ، وتؤخرهم أخرى ، وتنفي عنهم بعضها الدخول في دين الله ، لما لهذا التأخير أو التقديم ، أو البقاء على الشرك من أهمية كبيرة بالنسبة لهم في ذلك الوقت .

وذكر أن (أبا قيس بن الأسلت) كان يعدل (بقيس بن الخطيم) في الشجاعة والشعر[4] . وقيس بن الخطيم ، شاعر فارس من الأوس . معدود من

---

١ ابن سعد ، طبقات (٤/٣٨٥) .
٢ الخزانة (٤/٦٨) ، (بولاق) .
٣ الخزانة (٢/٤٧ وما بعدها) ، (بولاق) .
٤ الاصابة (٤/١٦١) ، (رقم ٩٤٤) ، « واسم الاسلت عامر . فهو لقب له » ، تاج العروس (١/٥٥٤) ، (سلت) .

أصحاب (المذهّبات) . وتبدأ مذهبته بقوله :

أتعرف رسماً كاطّراد المذاهب لعمرة وحْشاً غير موقف راكبِ

وكان يلاحي الخزرج ، قتل أبوه وهو صغير . قتله رجل من الخزرج، وعلم أن جدّه قتله رجل من (عبد القيس) . فتعقب القاتلَين ، حتى ظفر بقاتل والده بيثرب ، وظفر بقاتل جده بذي المجاز فقتله[1] . أدرك الإسلام ، ولكنه لم يسلم . ذكر أنه قدم على النبي بمكة قبل الهجرة ، فعرض النبي عليه الإسلام، فقال : إني لأعلم أن الذي تأمرني به خير مما تأمرني به نفسي ، وفيها بقية من ذاك ، فاذهب فاستمتع من النساء والخمر وتقدم بلدنا فأتبعك . فقتل قبل أن يتبعه. أصابه سهم وهو راكب أمام أطم لرجل من الخزرج[2] .

وهو الذي يقول في حرب كانت بينهم وبين الخزرج :

قد حصت البيضة رأسي فما أطعم نوماً غيرَ تهجاع
أسعى على جلّ بني مَلِكٍ كل امرءٍ في أمره ساعي[3]

وذكر (المرزباني) ان قيس بن الخطيم ، شاعر مجيد فحل ، من الناس من يفضله على حسان شعراً . وقال حسان : إنا اذا نافرتنا العربُ فأردنا أن نخرج الجبرات من شعرنا أتينا بشعر قيس بن الخطيم[4] . وله ديوان مطبوع[5] . وهو الذي يقول في يوم بعاث :

أتعرف رسماً كاطّراد المذاهب لعمرة قفر غير موقف راكبِ

وله أشعار جيدة أخرى[6] .

---

١ الاشتقاق (٢٦٤) ، الاغاني (١٥٩/٢ وما بعدها) ، الخزانة (١٦٨/٣) ، المرزباني ، معجم (١٩٦) .
٢ المرزباني ، معجم (١٩٦) ، ديوان الحماسة (١٠٤/٣) ، بروكلمن تاريخ الادب العربي (١١٤/١ وما بعدها) .
٣ ابن سلام ، طبقات (٥٦) .
٤ المرزباني ، معجم (١٩٦) ، ابن سلام ، طبقات (٥٦) .
٥ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١١٥/١) .
٦ ابن سلام ، طبقات (٥٦ وما بعدها) .

وذكر انه كان مقيماً على شركه ، وأسلمت امرأته ، وكان يقال لها (حواء) ، وكان يصدها عن الاسلام ، ويعبث بها . وكان رسول الله وهو بمكة قبل الهجرة يخبر عن أمور الأنصار ، وعن حالهم فأخبر باسلامها وبما تلقى من قيس ، فلما كان الموسم ، وحضر مكة ، أتاه النبي في مضربه ، فلما رأى النبي رحب به وأعظمه ، فأخبره النبي بما تلاقي امرأته منه بسبب اسلامها ، وقال له : أحب أن لا تعرض لها ، فكف عن أذاها[1] ، ويقال ان النبي دعاه الى الاسلام وتلا عليه القرآن ، فقال : اني لأسمع كلاماً عجباً فدعني أنظر في أمري هذه السنة ثم أعود اليك فمات قبل الحول[2] .

وذكر انه كان سيداً شاعراً ، فلما هدأت حرب الأنصار ، تذاكرت الخزرج قيس بن الخطيم ونكايته ، فتذامروا وتواعدوا قتله ، فلما مر بأطم (بني حارثة) ، رمي بثلاثة أسهم ، فصاح صيحةً أسمعها رهطه ، فجاءوه فحملوه الى منزله ، فلم يروا له كفواً إلا (أبا صعصعة بن زيد) النجاري ، فاندس اليه رجل حتى اغتاله في منزله فضرب عنقه ، وجاء برأسه ، ووضعه أمام (قيس) وكان به رمق ، فما لبث أن مات[3] .

وله قصيدة متينة ، قالها حين ظفر بقاتل أبيه وقاتل جده ، فقتلها ، من أبياتها:

طعنتُ ابن عبد القيس طعنة ثائر ... لها نفذٌ لولا الشعاع أضاءها
ملكت بها كفي فأنهرت فتقها ... يرى قائم من دونها ما وراءها
يهون عليّ أن ترد جراحها ... عيون الأواسي إذ حمدت بلاءها
وكنت امرءاً لا اسمع الدهر سبّة ... أسب بها إلا كشفت غطاءها
فاني في الحرب الضروس موكلٌ ... بإقدام نفسٍ ما أريد بقاءها
متى يأتِ هذا الموت لاتلف حاجةً ... لنفسي إلا قد قضيت قضاءها
ثأرت عديّاً والخطيم فلم أضع ... ولاية أشياخ جعلت إزاءها[4]

---

١ ابن سلام ، طبقات (٥٧) .
٢ الاصابة (٣/٢٦٦) ، (رقم ٧٣٥٠) .
٣ أسماء المغتالين ، (المجموعة السابعة من نوادر المخطوطات) ، (٢٧٤) .
٤ حماسة أبي تمام (١/٩٤ وما بعدها) ، (بولاق) ، الاغاني (٢/٦٠) ، ديوانه (٣ وما بعدها) ، (طبعة لايبزك ١٩١٤) .

وله غزل ، نابع من غزل أهل الحضر ، تغزل فيه بعمرة بنت رواحة[1] .

و (أبو قيس) (مالك بن الحارث) ، وقيل « صرمة بن أبي أنس بن مالك) من بني النجار ،شاعر كذلك . كان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وفارق الأوثان واغتسل من الجنابة ، وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ، ودخل بيتاً فاتخذه مسجداً لا يدخل عليه طامث ولا جنب . وقال : أعبد رب ابراهيم، فلما قدم الرسول يثرب أسلم فحسن إسلامه ، وهو شيخ كبير . وكان قوّالاً بالحق معظماً له . يقول في الجاهلية أشعاراً حساناً . وقد ذكر (ابن اسحاق) أشعاراً له ، في الوصايا ، وفيها حث على مكارم الأخلاق والأمر بالمعروف وفي انصاف اليتيم وغير ذلك من شعر المواعظ[2] .

ومن شعراء يثرب : (عمرو بن امرىء القيس) ، الذي سبق أن ذكرته ، وهو جدّ (عبدالله بن رواحة) وهو شاعر خزرجي جاهلي . وله شعر في القتال الذي وقع بين الأوس والخزرج بسبب (سمير) الذي عدا على (بجير) مولى (مالك بن العجلان) فقتله ، فوقعت الحرب من أجل ذلك بين الحيين،فحكموا (عمرو بن امرىء القيس) ، فحكم بدية المولى لمالك ، فلما رفض الحكم هاجت الحرب . فلما طالت حكموا فيها (ثابت بن المنذر) والد حسان وبذلك انتهى النزاع[3] .

وحسان بن ثابت من المخضرمين ، من شعراء الخزرج ، واسمه حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام . وهو شاعر رسول الله وشاعر الاسلام . وأمه (الفريعة) بنت (خالد بن حبيش بن لوذان) . وهي من الخزرج أيضاً . أدركت الاسلام أيضاً فأسلمت ، وقيل هي أخت (خالد) لا ابنته ، ويكنى (أبا الوليد) ، وأبا المضرب ، وأبا الحسام ، وأبا عبد الرحمن . « قال أبو عبيدة : فضل حسان ابن ثابت على الشعراء بثلاث : كان شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في أيام النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الاسلام . وكان مع

---

١ كارلو نالينو (٩٣) .

٢ الاستيعاب (١٥٧/٤ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، الاصابة (١٧٩/٢)، (رقم ٤٠٦١) .

٣ الخزانة (١٨٨/٢ وما بعدها) ، (بولاق) .

ذلك جباناً »[1] . ولم يشهد مع النبي مشهداً لأنه كان مجبن[2] . وذكر انه كان لسناً شجاعاً ، فأصابته علة أحدثت فيه الجبن ، فكان بعد ذلك لا يقدر أن ينظر الى قتال ولا يشهده[3] . وروي عن (أبي عبيدة) قوله : « اجتمعت العرب على أن أشعر أهل المدر يثرب ، ثم عبد القيس ، ثم ثقيف . وعلى ان أشعر أهل المدر حسان بن ثابت » . « وقال الأصمعي : حسان بن ثابت أحد فحول الشعراء . فقال له أبو حاتم : تأتي له أشعار لينة . فقال الأصمعي : تنسب له أشياء لا تصح عنه »[4] .

وورد ان رسول الله قال : « ليس شعر حسان بن ثابت ، ولا كعب بن مالك ، ولا عبدالله بن رواحة شعراً ، ولكنه حكمة[5] . وذكر ان (الحارث المرّي) ، قال للنبي : « اني أعوذ بالله وبك من هذا ، إن شعر هذا لو مزج بماء البحر لمزجه » . وكان حسان قد رآه جالساً مع الرسول ، فقال فيه شعراً مطلعه :

يا حار من يغدر بذمة جاره منكم فإن محمداً لا يغدر[6]

ويروى أنه كان إذا عالج شعراً ، وعصي عليه ، ثم أحكمه وأعجبه ، طرب به وربما صاح من الطرب ومن فرحة الانتهاء من الشعر . قال أحدهم : « سمعت حسان بن ثابت في جوف الليل وهو ينوّه بأسمائه ويقول : أنا حسان بن ثابت ، أنا ابن الفريعة ، أنا الحسام . فلما أصبحت غدوت عليه فقلت له : سمعتك البارحة تنوّه بأسمائك ، فما الذي أعجبك ؟ قال : عالجت بيتاً من الشعر ، فلما أحكمته نوّهت بأسمائي ! فقلت وما البيت ؟ قال : قلت :

---

١ الاصابة (١/٣٢٥) ، (رقم ١٧٠٤) ، السيوطي ، شرح شواهد (١/٣٣٤) ، المحاسن والاضداد (٤٨) .

٢ الشعر والشعراء (٢٦٤) ، السيوطي ، شرح شواهد (١/٣٣٣) ، الجمان في تشبيهات القرآن ، لابن ناقيا البغدادي (١٩٢ ، ٣٤٣) ، (بغداد ١٩٦٨) .

٣ السيوطي ، شرح شواهد (١/٣٣٤) .

٤ الاستيعاب (١/٣٣٨) ، السيوطي ، شرح شواهد (١/٣٣٤) ، الاغاني (٤/١٣٤) ، المؤتلف (٨٩) ، المرزباني ، معجم (٤٠١) .

٥ المصدر نفسه (١/٣٣٥) .

٦ السيوطي ، شرح شواهد (١/٣٣٥) .

وإنّ امرءاً يمسي ويصبحُ سالماً من الناس إلا ما جَنَى لسعيد»[1]

وروي أيضاً أنه قام من جوف الليل فصاح : يا آل الخزرج ، فجاءوه وقد فزعوا ، فقالوا : مالك ؟ قال : بيت قلته فخشيت أن أموت قبل أن أصبح فيذهب ضيعة خذوه عني ، قالوا : وما قلت ؟ قال : قلت :

ربّ حلم أضاعه عدم الما لِ وجهلٍ غطّى عليه النعيم[2]

وقد حمل على (حسان) شعر كثير ، بسبب تحامله على قريش ، فأرادت قريش النكاية به ، فوضعت شعراً على لسانه ليحط من مكانته . قال (ابن سلام) : « وأشعرهم حسان بن ثابت ، هو كثير الشعر جيده . وقد حمل عليه ما لم يحمل على أحد . لمّا تعاضهت قريش واستبّت ، وضعوا عليه أشعاراً كثيرة لا تليق به »[3].

وأكثر علماء الشعر ان شعر (حسان) في الجاهلية أقوى منه في الاسلام ، قال (الأصمعي) : « الشعر نكد يقوى في الشر ويسهل ، فإذا دخل في الخير ضعف ولان . هذا حسان فحل من فحول الجاهلية ، فلما جاء الاسلام سقط شعره. وقال مرة أخرى : شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر . وقيل لحسان لان شعرك أو هرم في الاسلام يا أبا الحسام ! فقال للقائل : يا ابن أخي ان الاسلام يحجز عن الكذب ، أو يمنع من الكذب ، وان الشعر يزينه الكذب . يعني ان شأن التجويد في الشعر الإفراط في الوصف والتزيين بغير الحق وذلك كله كذب »[4] . وقال (الثعالبي) : « من عجائب أمر حسان انه كان رضي الله عنه يقول الشعر في الجاهلية فيجيد جداً ويغبر في نواصي الفحول ويدعي ان له شيطاناً يقول الشعر على لسانه كعادة الشعراء في ذلك... فلما أدرك الاسلام وتبدل الشيطان الملك تراجع شعره وكاد يرك قوله ، ليعلم ان الشيطان أصلح للشاعر وأليق به وأذهب في طريقه من الملك »[5] . وما قوة شعر (حسان) في الجاهلية ، إلا بسبب قوة شبابه

---

١ السيوطي ، شرح شواهد (١/٣٣٥ وما بعدها) .
٢ السيوطي ، شرح شواهد (١/٣٣٦) .
٣ طبقات (٥٢) .
٤ الاستيعاب (١/٣٣٨ وما بعدها) ، أسد الغابة (٢/٥) ، الشعر والشعراء (١/٢٢٤) ، بروكلمن (١/١٥٣) .
٥ خاص الخاص (٨٠) ، الموشح ، للمرزباني (٦٥) .

آنذاك ، واندفاعه على الشراب وسماع القيان ، فلما كبر وشاخ ، وذهبت قوة شبابه ، وامتنع من الشرب بسبب تحريم الاسلام له ، لم تبق له قريحة الشباب ، واندفاع ذلك الوقت ، فضعف شعره لذلك ، وللسن دخل في حيوية الانسان وفي نتاجه العقلي ، ومنه الشعر .

ونسب الى (الحطيئة) قوله : « أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر العرب حيث يقول :

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يَسألون عن السواد المقبل

وقال عبد الملك بن مروان : أمدح بيت قالته العرب بيت حسان هذا »[1] .

وكان حسان قد أدرك النابغة وأنشده ، وأنشد الأعشى ، وكلاهما قال له إنك شاعر[2] . وله حديث مع النابغة .

وُصِفَ بأنه كان صاحب لسان طويل ، « وكان يضرب بلسانه روثة أنفه، من طوله ، ويقول ، ما يسرني به مقول أحد من العرب ، والله لو وضعته على شعر لحلقه ، أو على صخر لفلقه »[3] . وكانت له ناصية يسدلها بين عينيه[4] .

وكان أبوه (ثابت بن المنذر) من سادة قومه وأشرافهم ، وكان (المنذر) الحاكم بين الأوس والخزرج في يوم (سميحة) ، وكانوا حكّموا في دمائهم يومئذ (مالك بن العجلان بن سالم بن عوف) ، فتعدّى في مولى له قتل يومئذ، وقال : لا آخذ إلا دية الصريح ، فأبوا أن يرضوا بحكمه ، فحكّموا (المنذر ابن حرام) . فحكم بأن أهدر دماء قومه الخزرج ، واحتمل دماء الأوس[5] .

وكان حسان في أول أيامه يتنقل في الأرض طلباً للمال والعطايا والهبات، فكان يراجع ملوك الحيرة ، ويعاود آل غسان . وكان هواه مع الغساسنة أقوى منه مع آل لخم ، حتى أنه كان يذكرهم بخير ويمدحهم وهو في الإسلام . وقد أكرموه كثيراً ، وأنعموا عليه أكثر مما أنعم ملوك الحيرة عليه . والظاهر أن لبعد الشقة

---

١ الاستيعاب (١/٣٣٩) .
٢ الاستيعاب (١/٣٤٢) .
٣ الشعر والشعراء (١/٢٢٣) ، الفائق (١/٥١٢) .
٤ الشعر والشعراء (١/٢٢٣) .
٥ ابن سلام ، طبقات (٥٢) .

التي تفصل يثرب عن الحيرة ، ولكثرة ما كان يفد من الشعراء على آل لخم ، وفيهم من هو أشعر من حسان ، وأكثر منه مكانة في الشعر بين العرب ، دخل في انصرافه الى مدح آل غسان وذهابه في الأكثر اليهم طلباً للمال في مقابل مدحه لهم.

ويروى عن (حسان) ان السعالى نصحته بمدارسة الشعر ، فقد روي عنه انه قال : « خرجت أريد عمرو بن الحارث بن أبي شمر الغساني ، فلما كنت في بعض الطريق وقفت على السعلاة صاحبة النابغة ، وأخت المعلاة صاحبة (علقمة ابن عبدة) ، فقالت واني مقترحة عليك بيتاً ، فإن أنت أجزته شفعت لك الى أختي ، وإن لم تجزه قتلتك . فقلت هات . فقالت :

اذا ما ترعرع فينا الغلام فما أن يقال له من هوه

قال : فتبعتها من ساعتي ، فقلت :

فإن لم يسد قبل شد الإزار فذلك فينـا الذي لاهوه
ولي صاحب من بني الشيصبان فحيناً أقول وحينـاً هوه

فقالت : أولى لك ، نجوت ، فاسمع مقالتي واحفظها عليك بمدارسة الشعر ، فإنه أشرف الآداب وأكرمها وأنورها ، به يسخو الرجل ، وبه يتظرف ، وبه يجالس الملوك ، وبه يخدم ، وبتركه يتصنع . ثم قالت : إنك إذا وردت على الملك وجدت عنده النابغة ، وسأصرف عنك معرّته ، وعلقمة بن عبدة ، وسأكلم المعلاة حتى تردّ عنك سورته . قال حسان فقدمت على عمرو بن الحارث فاعتاص عليّ الوصول إليه فقلت للحاجب ، بعد مدة : إن أذنت لي عليه، وإلا هجوت اليمن كلها . ثم انتقلت عنها . فأذن لي عليه، فلما وقفت بين يديه وجدت النابغة جالساً عن يمينه ، وعلقمة جالساً عن يساره ، فقال لي : يا ابن الفريعة ، قد عرفت عيصك ونسبك في غسان ، فارجع فإنـي باعث اليك بصلة سنيّة ، ولا أحتاج الى الشعر ، فإني أخاف عليك هذين السبعين أن يفضحـاك ، وفضيحتك فضيحتي ، وأنت اليوم لا تحسن أن تقول :

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيّون بالريحان يوم السباسب

فقلت : لا بد منه . فقال : ذاك الى عميك فقلت : أسألكما بحـق الملك ،

الجواب : الا ما قدمتماني عليكما ؟ فقالا : قد فعلنا ، هات ، فأنشأت أقـول والقلب وجل :

أسألتَ رسم الدار أم لم تسألِ بين الجوابي فاليضيع فحوملِ

حتى أتيت على آخرها . فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل عن مجلسه سروراً حتى شاطر البيت ، وهو يقول : هذه والله البتارة التي قد بترت المدائح ، هذا وأبيك الشعر ، لا مـا تعلّلاني به منذ اليوم . يا غلام ألف دينار مرجوحة ، فأعطيت ألف دينار ، في كل دينار عشرة دنانير . ثم قال : لكَ عليّ مثلها في كل سنة، ثم أقبل على النابغة فقال : قم يا زياد بني ذبيان فهات الثناء المسجوع، فقام النابغة فقال :

ألا أنعم صباحاً أيها الملك المبارك ، السماء غطاؤك ، والأرض وطاؤك ، ووالداي فداؤك ، والعرب وقاؤك ، والعجم حماؤك ، والحكماء وزراؤك ، والعلماء جلساؤك، والمقاول سمّارك ، والعقل شعارك ، والحلم دثارك ، والصدق ردائك ، واليُمْنُ حذاؤك ، والبرُّ فراشك ، وأشرف الآباء آباؤك ، وأطهر الأمهات أمهاتك ، وأفخر الشبان أبناؤك ، وأعف النساء حلائلك ، وأعلى البنيات بنياتك ، وأكرم الأجداد أجدادك ، وأفضل الأخوال أخوالك ، وأنزه الحدائق حدائقك ، وأعذب المياه مياهك ، وحالف الإضريج عاتقك ، ولاءَم المسك مسكك ، وجاوَر العنبر تراتبكَ ، العسجد قواريرك ، واللجين صحائفك ، والشهد إدامك ، والخرطوم شرابك ، والأبكار مُستراحك ، والعبير بنواسك ، والخير بفنائك ، والشر في ساحة أعدائك ، والذهب عطاؤك ، وألف ديناراً مرجوحة إعماؤك ، وألف دينار مرهوجة ايتاؤك ، والنصر منوط بلوائك ، زين قولك فعلك ، وطحطح عدوّك غضبك ، وهزم مقانبهم مشهدك . وسار في الناس عدلك ، وسكّن تباريح البلاد ظفرك . أيفاخرك ابن المنذر اللخمي ؟ فوالله لقفاك خير من وجهـه ، ولشمالك خير من يمينه ، ولصمتك خير من كلامه : ولأمك خير من أبيه، ولخدمك خير من علية قومه . فهب لي أسارى قومي ، واسترهن بذلك شكـري ، فإنك من أشراف قحطان وأنا من سروات عدنان .

فرفع عمرو بن الحارث رأسه الى جارية كانت على رأسه قائمـة ، فقال :

مثل ابن الفريعة فليمدح الملوك ، ومثل ابن زياد فليثن على الملوك »[1] . وهكذا دبج أهل الأخبار هذا الثناء في كتبهم ، وكان رواتهم قد سجلوه ساعة وقوعه على شريط مسجل .

وتعد قصيدة (حسان) :

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل

من جيد شعره ، وأشهر قصائده ، فهي لينة الألفاظ أسهل فهماً من قصائد شعراء الصنف الأول ، وفيها من المديح ما يليق بملوك أهل المدر ، المتمتعين بأنواع الترف والرفاهية ، ثم إن أطناب الشاعر في وصف الخمر يبعد عن أسلوب شعراء أهل البادية ، كما يبعد عنه أيضاً الافتخار بقومه المقصور في بلاغة خطابهم ووفدهم على أبواب الملوك . وقد أبدع فيها في وصف معيشة ملوك غسان ، وفي حياتهم الحضرية التي كانوا يحيونها ، كما افتخر فيها بعشيرته الخزرج[2] .

وخير شعر حسان هو ما قيل في مدح ملوك غسان .. وكان هواه فيهم ، وكانوا هم يغدقون عليه العطايا والأموال ، ولا يؤخرونه من الدخول الى مجالسهم ، ويؤثرونه بالمودة ، فخصص جيد شعره بهم . وقد مدح ملوك الحيرة أيضاً ، غير أن مدحه لهم ، هو دون مدحه لمنافسيهم الغساسنة ، الذين كان يكثر التردد عليهم ، على حين لم يكن يقصد المناذرة إلا لحاجة شديدة ولطلب . ولعل ذلك بسبب بعد الحيرة عن يثرب ، وكثرة ذهاب الشعراء الى ملوك الحيرة ، واستدراج هؤلاء الملوك للشعر واغداقهم عليهم ، للاستفادة منهم في نشر الدعاية لهم بين الأعراب .

ومن جيد شعره في ملوك الغساسنة قوله :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيل السلسل
يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

---

١ الاغاني (١٥/١٢٣ وما بعدها) ، السيوطي ، شرح شواهد (١/٣٧٩ وما بعدها) .
٢ كارلو نالينو (٨٧ وما بعدها) .

وابن مارية هو الحارث الأعرج بن أبي شمر الغساني ، وكان أثيراً عندهم، ولذلك يقول :

قد أراني هنـــاك حق مكـين عند ذي التاجِ مقعدي ومكاني[1]

وذكر أنه دخل يوماً على (جبلة بن الأيهم) الغساني ، فأذن لـه ، فجلس بين يديه وعن يمينه رجل له ضفيرتان ، وعن يساره رجل ، وكان الأول هـو النابغة ، وكان الثـــاني ، هو (علقمة بن عبدة) . فاستنشدهم جبلة ، فأنشد النابغة قوله :

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

قال حسان فذهب نصفي . ثم قال لعلقمة أنشد ، فأنشد :

طحابك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

قال حسان ، فذهب نصفي الآخر . ثم قال (جبلة) لحسان ، أنت أعـلم الآن إن شئت سكت ، وإن شئت أنشدت ، فأنشد :

أبناء جفنة عند قبر أبيهم قبر ابن مارية الجواد المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم كأساً تصفق بالرحيل السلسل

فأدناه منه ، ثم أمر له بثلثمائة دينار وعشرة أقصة لها جيب واحد . وقال : هذا لك عندنا في كل عام . وذكر (أبو عمرو الشيباني) هذه القصة لحسان مع (عمرو بن الحارث) الأعرج[2] . ونجد الرواة يختلفون في مثل هـذه القصص ، بسبب ركونهم الى رواة مختلفين ، لم يدونوا الأخبار وانما سمعوها سماعاً، وأكثرها من المخترعات .

ويظهر انه قد تمكن من جمع ثروة مكنته من السكن في حصن حصين بيثرب

---

١ الشعر والشعراء (١/٢٢٤) .

٢ الخزانة (٢/٢٤٠ وما بعدها) ، (بولاق) .

عرف بـ (فارع)[1] . وكان الرسول اذا خرج لغزوة أو معركة أودع أهله حصن حسان ، لأنه كان حصناً حصيناً . وتذكر (صفيـــة بنت عبد المطلب) ، ان حسان كان في حصنه مع النساء والصبيان فمر يهودي به ، وجعل يطيف حوله ، فقالت (صفية) لحسان إن هذا اليهودي لا آمنه أن يدل على عوراتنا فانزل اليه فاقتله ! فقال : يغفر الله لكِ يا بنت عبد المطلب ، لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ، فنزلت صفية وأخذت عموداً وقتلت اليهـــودي . فقالت : يا حسان انزل فاسلبه ! فقال ما لي بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب[2] . وقد دفع بعض العلماء الجبن عن حسان ، بحجة انه لو كان جباناً على نحو ما يقولون لمـــا سكت عن تعييره به خصومه ممن كان يهاجيهم كضرار وابن الزبعرى ، وعللوا عـدم نزوله من حصنه لقتل اليهودي بحجة انه ربما كان معتـــلاً في ذلك اليـــوم . وأنكـــر بعضهم أن يكون هذا الخبر صحيحاً[3] . على كلٍ ، صح هذا الخبر أم لم يصح فإنا لا نجد لحسان ذكراً في مغازي الرسول ولا في سراياه . بل نجد العلماء مجمعين على انه « لم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مشهداً ، لأنه كان جباناً »[4] .

ولحسان شعر في رثاء (المطعم بن عدي) والد (جبير بن مطعم) ، مات ولم يسلم . وكان (مطعم) أجار النبي حين قدم الطائف لما دعا ثقيفاً الى الإسلام، وهو أحد الذين قاموا في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم وبني المطلب . وكان فيما قاله في رثاء (المطعم) :

فلو كان مجداً يخلدُ الدهر واحداً من الناسِ أبقى مجده الدهر مطعما
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا عبيدك ما لبى مهلٌ وأحرمـــا[5]

ومن شعره :

أهوى حديث الندمان في فلق الصـ ـبح وصـــوت المغرّد الغرد

---

١ الاصابة (١/٣٢٥) ، (رقم ١٧٠٤) ، (فارع حصن بالمدينة ، يقال انه حصـــن حسان بن ثابت) ، تاج العروس (٥/٤٤٩) ، (فرع) .
٢ الاصابة (١/٣٢٥) ، (رقم ١٧٠٤) ، سيرة ابن هشام (٢/١٩٣) ، (حاشيـــة على الروض الانف) ، الروض الانف (٢/١٩٣) .
٣ الروض الانف (٢/١٩٤) .
٤ الشعر والشعراء .
٥ السيوطي ، شرح شواهد (٢/٨٧٥) .

ذكر ان بعض أهل المدينة كان يقول : ما ذكرت بيت حسان هذا إلا عدت في الفتوة[1] .

وذكر أن الناس كانوا يتمثلون بـ « فشرّكما لخيركما الفـداء » ، وهو عجز بيت لحسان . هو :

أتهجوه ولست له بند فشركما لخيركما الفداء[2]

وهو من قصيدة يقول بعض الرواة إن مطلعها :

عفت ذات الأصابع فالجواء الى عذراء منزلها خلاء

هجا فيها (أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب) . « قال مصعب الزبيري: هذه القصيدة ، قال حسان صدرها في الجاهلية وآخرها في الإسلام »[3] .

وينسب الى (حسان) قوله :

تعلمتم من منطق الشيخ يعرب أبينا فصرتم معربين ذوي نفر

وهو بيت تليه أبيات أخرى في الفخر بيعرب ، وبفضله على العرب ، لأنه هو صاحب العربية ، ومنه تعلم العرب عربيتهم . وقد دونت هذه الأبيات في كتاب : تأريخ ملوك العرب الأولية للأصمعي[4] . وقد دوّن هذا الكتاب أبياتاً من قصيدته الشهيرة في مدح الغساسنة[5] . وأبياتاً في مدح (جبلة بن الأيهم) الذي فرّ الى بلاد الروم ، وواصل مع ذلك بره لحسان[6] . وهو شعر أراه مصنوعاً ، ولا يتفق مع مذهب (حسان) في النظم .

وقد ذكر (حسان) قصر دومة ، أي دومة الجندل في شعره ، إذ قال :

---

١ الشعر والشعراء (١/٢٢٥) .
٢ الشعر والشعراء (١/٢٢٦) ، « أتهجوه ولست له بكفء » الاستيعاب (١/٣٣٦) .
٣ الاستيعاب (١/٣٣٦) .
٤ (ص ٨) .
٥ (ص ١٠٢) .
٦ (ص ١١٣)

أما ترى رأسي تغـير لونه شمطاً فأصبح كالثغام المجول
فلقد يراني صاحباي كأنني في قصر دومة أو سواء الهيكل[1]

وورد ان الرسول لما « قدم المدينة ، فهجته قريش ، وهجوا الأنصار معه ، فأتى المسلمون كعب بن مالك (؟) فقالوا : أجب عنا ، فقال : استأذنوا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ادعوه ، فأتى حسان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اني أخاف أن تصيبني معهم تهجو من بني عمي ، فقـال حسان : لأسلنّك منهم سل الشعرة من العجين ، ولي مقول ما أحب ان لي به مقول أحد من العرب ، وانه ليفري ما لا تفريه الحربة . ثم أخرج لسانه فضرب به أنفه كأنه لسان حية بطرفه شامة سوداء ، ثم ضرب به ذقنه ، فأذن له رسول الله »[2] . وورد « ان النبي صلى الله عليه وسلم لمّا قدم المدينة ، تناولته قريش بالهجاء ، فقال لعبدالله بن رواحة : ردّ عني . فذهب في قديمهم وأولهم ، ولم يصنع في الهجاء شيئاً . فأمر كعب بن مالك » « ولم يصنع في الهجاء شيئاً، فدعا حسان بن ثابت فقال : اهجهم ، واتتِ أبا بكر يخبرك بمعايب القوم . فأخرج حسان لسانه حتى ضرب به على صدره ، وقال : والله يا رسول الله ، ما أحب ان لي به مقولاً في العرب ، فصبّ على قريش منه شآبيب شر . فقال رسول الله : اهجهم ، كأنك تنضحهم بالنبل »[3] .

وروي أن الرسول لما هجاه (عبدالله بن الزبعرى) ، و (أبو سفيـان بن الحارث بن عبد المطلب) ، و (عمرو بن العاص) ، و (ضرار بن الخطاب) قال : « ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ فقال حسان : أنا لها وأخذ بطرف لسانه ، وقال : والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف تهجوهم وأنا منهم ؟ وكيف تهجو أبا سفيان وهـو ابن عمي ؟ فقال : والله لأسلنك منهم كما تسلّ الشعرة من العجين ، فقال له : ائت أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك . فكان يمضي الى أبي بكر ليقفه على أنسابهم . وكان

---

١ الاصابة (١/١٣٢) ، (رقم ٥٤٩) .
٢ السيوطي ، شرح شواهد (١/٣٣٤) ، « كعب بن مالك » « هكذا » ، بينما الحـال يستدعي ذكر « حسان بن ثابت » .
٣ السيوطي ، شرح شواهد (١/٣٥٤ وما بعدها) .

يقول : كف عن فلانة وفلانة واذكر فلانة وفلانة ، فجعل حسان يهجوهم . فلما سمعت قريش شعر حسان ، قالوا: إن هذا الشعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة، أو متى شعر ابن أبي قحافة .

فمن شعر حسان في أبي سفيان بن الحرث :

وإن سنام المجد في آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
ومن ولدت أبناء زهرة منهم كرام ولم يقرب عجائزك المجد
ولست كعباس ولا كابن أمه ولكن لئيم لا يقوم له زند
وان امرءاً كانت سمية أمه وسمراء مغمور اذا بلغ الجهد
وأنت هجين نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

فلما بلغ هذا الشعر أبا سفيان ، قال : هذا كلام لم يغب عنه ابن أبي قحافة»[1] .

وذكر ان الرسول جعله شاعره الناطق باسمه اذا جاءته الوفود ، وتبارى الشعراء أمامه ، قام هو للرد عليهم . فحين قدم وفد (بني تميم) بخطيبهم وشاعرهم ، ونادوه من الحجرات ان اخرج الينا يا محمد ، وخطب خطيبهم مفتخراً ، ثم قام شاعرهم وهو (الزبرقان بن بدر) ، فقال :

نحن الملوك فلا حيّ يقاربنا فينا العلاء وفينا تنصب البيع

قال رسول الله لحسان : قم ، فقام وقال :

إن الذوائب من فهرٍ واخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع

الى آخر الأبيات . « فقال التميميون عند ذلكم : وربكم إن خطيب القوم أخطب من خطيبنا ، وإن شاعرهم أشعر من شاعرنا » ، ويعد شعره هذا من جيد شعره[2] .

وقد روي أن النبي كان يضع لحسان المنبر في المسجد يقوم عليه قائماً يهجو

---

١ الاستيعاب (١/٣٣٤ وما بعدها) .
٢ الاستيعاب (١/٣٤١) .

الذين كانوا يهجون النبي[1] . وقد شك (كيتاني) وكذلك (بروكلمن) في صحة هذا الخبر . ولكن الروايات تؤكد أن الرسول كان يستدعيه أحياناً للرد على شعراء الوفود ، وأنه كان يجلس في المسجد ينشد الشعر ، والرسول يسمعه . وأن (عمر) مرّ بحسان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله ، ثم قال : أرغاء كرغاء البكر ؟ فقال حسان : دعني عنك يا عمر ، فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنشدُ في هذا المسجد من هو خير منك ، فما يغير عليّ ذلك ، فقال عمر : صدقت[2] . أو أن (عمر) مرّ على (حسان) ، وهو ينشد الشعر في المسجد ، فقال أفي مسجد رسول الله تنشد الشعر ؟ فقال : قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك . أو ما أشبه ذلك[3] . وروي أن (عمر) ، نهى أن ينشد الناس شيئاً من مناقضة الانصار ومشركي قريش ، وقال : في ذلك شتم الحي والميت وتجديد الضغائن ، وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام[4] .

وذكر أن أول شعر قاله (حسان بن ثابت) في الإسلام ، هو قوله :

فانا ومن يهدي القصائد نحونا كمستبضع تمراً الى أهل خيبر[5]

ولما أسرت (هذيل) بعض المسلمين وباعتهم من قريش ، هجاهم (حسان) هجاءً مراً ، وصفهم فيه باللؤم ، واللؤم عند العرب من أقبح المعيبات ، إذ قال فيهم :

لو خُلق اللؤمُ انساناً يكلمهم لكان خير هُذيل حين يأتيها
ترى من اللؤم رقماً بين أعينهم كما لوى أذرع العانات كاويها
تبكي القبور اذا ما مات سيدهم حتى يصيح بمن في الأرض داعيها
مثل القنافذ تخزي أن تفاجئها شد النهار ويلقى الليل ساريها[6]

---

١ الاصابة (٣٢٥/١) ، (رقم ١٧٠٤) ، السيوطي ، شرح شواهد المغنى (١١٤) .
٢ العمدة (٢٨/١) .
٣ الاصابة (٣٢٥/١) ، (رقم ١٧٠٤) .
٤ الاستيعاب (٣٣٨/١) .
٥ تاج العروس (٢٧٨/٥) .
٦ ديوان حسان (٦٧) ، (لندن ١٩١٠) .

وهي أبيات شديدة الهجاء ، موجعة ، تفنن فيها الشاعر وأبدع في وصف من هجاهم باللؤم وبالأمور المخزية الأخرى .

ويشك بعض المستشرقين في صحة الشعـــر المنسوب الى (حسان) الوارد في التفجع على مقتـل (عثمان) وفي الحث على الأخذ بثأره . وذلك لأن هذا الشعر شعر ملتهب فيه قوة وحيوية ونفس شباب ، فيبعد أن يكون من شعر شيخ قد تقدمت به السن[1] .

وروي « عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج وقد فرش حسان فناء أطمـــه ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سماطين وبينهم جارية لحسان يقال لها (شرين) ومعها مزهر تغنّيهم ، وهي تقـــول في غنائها :

هل عـــليّ ويحكم إن لهوت من حرج

فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا حرج »[2] .

و (شرين) لفظة فارسية بمعنى (حلو) و (جميل) ، فيكون اسم الجاريـة من الأسماء الفارسية ، معناه في العربية (حلوة) و (جميلة) . ولا يستبعـــد أن تكون من أصل فارسي ، وإن نص أهل الأخبار على أنها قبطية .

و (شرين) ، هي (سيرين) جارية أعطاها رسول الله لحسان للذبّـه بلسانه عنه في هجاء المشركين ، وقيل لضربة (صفوان بن المعطل) له بالسيف . وهي أخت (مارية) القبطية . وذكر أن الرسول أعطى حسان الموضع الذي بالمدينة ، وهو قصر بني (جديلة)[3] .

وقد اختلف الناس في سنة وفاة (حسان) الذي كان قد عمي لما تقدمت به السن . فقيل : توفي قبل الأربعين ، وقيل سنة أربعين ، وقيل خمسين ، وقيل أربع وخمسين من سني الهجرة ، والجمهور على انه عاش مائـــة وعشرين سنة ، ولكن منهم من ذهب الى انه عاش دون المائة أو ما بين المائة والمائة والعشرين .

---

١ بروكلمن (١/١٥٣) ، Th. Nöldecke, Die Ghassan., S. 41.
٢ السيوطي ، شرح شواهد (١/٣٣٤ وما بعدها) .
٣ الاستيعاب (١/٣٤٠) .

وقد قال (ابن سعد) انه عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام ستين ، ومات وهو ابن عشرين ومائة [1] . وذكر انه مات في أيام معاوية [2] .

وقد كان حسان ممن مشى بين الناس بحديث الإفك ، وهو ممن نزلت بحقه الآية : « إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم ، بل هو خير لكم . لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم . والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم »[3] ، لأنه مشى بالإفك مع من مشى به . وهم (عبدالله بن أبي) رأس المنافقين بالمدينة ، ومسطح ، وحمنة بنت جحش . وقال بعضهم إن الذي تولى كبره منهم (حسان بن ثابت) . قيل لعائشة ، وقد دخل عليها (حسان بن ثابت) : « أليس الله يقول : والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم . قالت: أليس قد أصابه عذاب عظيم . أليس قد ذهب بصره وكنع بالسيف ! »[4] . وروي انه جلد مع (مسطح) بسبب الإفك[5] .

واعتذر (حسان) من قوله في الإفك بقوله :

فإن كنت قد قلتُ الذي قد زعمتم فلا رفعت سوطي إليّ أناملي

ثم يقول :

فإن الذي قد قيل ليس بلائط ولكنه قول امرىء بيّ ماحِل[6]

وقد أسرف (حسان) في افكه بحديث الفك ، حتى آلم النبي ، ويظهر أنه لم يكن من أولئك الأشخاص الذين كانوا يتحرجون من الهجوم على أقرب الناس اليهم ، في حالة تسرعه وتأثره ، فهو شاعر ، ومن عادة الشعراء عدم الاستقرار. وكان عليه أن يدافع عن (عائشة) ، باعتباره شاعر نبيّه ، لا أن يساهم مع

---

١ الاصابة (١/٣٢٥) ، (١٧٠٤) ، الاستيعاب (١/٣٤٢) .
٢ الشعر والشعراء (١/٢٢٣) ، (الثقافة) .
٣ سورة النور ، الرقم ٢٤ ، الاية ١١ .
٤ تفسير الطبري (١٨/٦٨ وما بعدها) ، تفسير الالوسي (١٨/١٠٠) ، تفسير ابن كثير (٣/٢٧١) .
٥ رسالة الغفران (٢٣٥) .
٦ العمدة (١/٢٤ وما بعدها) .

من استغل الحادث لايلام الرسول من المنافقين والذين لم يكن الإيمـــان قد دخل قلوبهم ، وان يمعن في الإفك وفي إيلام الرسول ، وقد اعتذر بعد ذلك كما رأينا بعذر بارد ، حاول أن يتنصل فيه عمّا قاله في الإفك ، مع أنه كان صنواً لعبدالله ابن أبي في ذلك الحديث .

ولما انتقل الرسول الى الرفيق الأعلى ، قال حسان قصيدته :

بطيبة رسم للرسول ومعهـــد منير وقد تعفو الرسوم وتهمد[1]

وقال قصيدة أخرى مطلعها :

ما بال عينك لا تنـام كأنما كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعت على المهدي أصبح ثاوياً يا خير من وطيء الحصى لا تبعد

وقال قصائد أخرى في رثائه[2] .

وكان حسان من المتعصبين ليثرب على مكة ، ونجد في شعره عصبية لليمن ، وتفاخراً شديداً بالأزد ، والأزد من اليمن ، وبنو غسان من الأزد . وهي عصبية قديمة ، تعود الى ما قبل الاسلام . يظهر ان سببها اختلاف ما بين المدينتين في الطباع وفي الطبيعة والأحوال الاقتصادية والزعامة ، وقد فرح ولا شك حين كلفه الرسول بالرد على شعراء قريش ، وهو حاقـد عليهم منـــذ أيام الجاهلية . وقد بقيت هذه العصبية كامنة في نفسه حتى في الاسلام ، وكاد أن يؤجج نارها مراراً بين الأنصار والمهاجرين ، وقد نهاه عمر من التعرض لأمور الجاهلية وأيامها ومن إنشاد ما كان قد قيل من شعر في الجاهلية بين أهل يثرب وقريش ، حذر الفتنة ، وعودة العصبية الجاهلية الأولى . وكان (عمر) قد نهى أن ينشد الناس شيئاً من مناقضة الأنصار ومشركي قريش ، وقال : في ذلك شتم الحـــي والميت وتجديد الضغائن ، وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الاسلام[3] . ويظهر انه لم يكن مثالياً بدليل هـــذه النزوات التي صدرت منه وهو في الإسلام وكادت تثير فتن الجاهلية .

---

١ ابن هشام ، سيرة (٢/٣٧٨) ، (حاشية على الروض) .
٢ سيرة ابن هشام (٢/٣٧٩ وما بعدها) .
٣ الاستيعاب (١/٣٣٧ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .

وكان حسان يهاجي (أميّـــة بن خلف) الخزاعي . وكان خلف قـد هجا حسان بقوله :

أليسَ أبوك فينـــا كان قيناً لدى القينات، فسلا في الحفاظ؟
يمـــانياً يظل يشـدّ كيراً وينفخ دائباً لهب الشواظ[1]

وكان قد قال :

ألا من مبلـــغ حسان عني مغلغلة تـــدب الى عكاظ ؟

فأجابه حسان :

أتاني عن أمية زور قـــول وما هو في المغيب بذي حفاظ
سأنشر إنْ بقيت لكم كلاماً ينشر في المجنـــة مع عكاظ
قوافي كالسلاح إذا استمرت من الصم المعجرفـــة الغلاظ
تزورك إن شتوت بكل أرض وترضخ في محلك بالمقـــاظ
بنيت عليك أبياتاً صلاباً كأمر الوسق قعض بالشظاظ
مجللـــة تعممـــه شناراً مضرمـــة تأجج كالشواظ
كهمزة ضيغم يحمي عرينـــاً شديد مغارز الأضلاع خاظي
تغض الطرف ان ألقاك دوني وترمي حـــين أدبر باللحاظ[2]

وقد هاجى (حسان بن ثابت) النجاشي ، واسمه (قيس بن عمـــرو) من رهط (الحارث بن كعب) ، وكان قد هجا الأنصار فردّ عليه (حسان بن ثابت) ، ثم أمر بأن يكتب رده غلمان الكتاب ، ليوزع على الناس . وقد كان النجاشي قد هاجى (عبد الرحمن بن حسان) ، واشتد هجاؤه عليه فأعانه والده عليه[3] . وكان مما قاله حسان في (الحارث بن كعب) رهط النجاشي قوله :

لا بأس بالقوم من طولٍ ومن عرض جسم البغال وأحلام العصافير[4]

---

١ اللسان (٤٤٦/٧) ، (شوظ) ، تاج العروس (٢٥٣/٥) ، (تشاوظ) .
٢ تاج العروس (٢٥٤/٥) ، (عكظ) .
٣ الخزانة (١٠٥/٢ وما بعدها) ، (بولاق) .
٤ ديوان حسان (٢١٤) ، رسائل الجاحظ (٣٤٣/٢) ، (كتاب البغال) .

ويلاحظ ان أهل الأخبار نسبوا الى ابنه (عبدالرحمن) ، والى حفيده (سعيد ابن عبد الرحمن) مثل هذا الذي نسبوه الى (حسان) . إذ ذكروا ان (عبد الرحمن) أوقد ناراً حتى اجتمع اليه الحي ، ثم قال : قد قلت بيتاً ، فخفت أن يسقط بحدث علي فجمعتكم لتسمعوه ، وان ابنه (سعيد) فعل فعله[1] . ويلاحظ ان الأبيات التي ذكروها هي على وزن واحد وعلى قافية واحدة . وقد تكون من وضع الرواة .

وأم (عبد الرحمن بن حسان) ، أخت مارية القبطية أم ابراهيم ابن الرسول. وكانت تسمى (سيرين) (شيرين) (شرين) . وكان عبد الرحمن شاعراً كذلك . ذكر ان والده أشار اليه بقوله :

فمن للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت[2]

ونسب الى حسان أو ابنه عبد الرحمن قوله : قلت شعراً لم أقل مثله ، وهو:

وان امرءاً أمسى وأصبح سالماً من الناس ، إلا ما جنى ، لسعيد[3]

وكانت لحسان بنت شاعرة ، أرق حسان ذات ليلة فعنّ له الشعر فقال :

متاريك أذناب الأمور إذا اعترت أخذنا الفروع واجتثثنا أصولها

ثم أجبل فلم يجد شيئاً ، فقالت له بنته : كأنك قد أجبلت يا أبه ؟! قال : أجل ، قالت ، فهل لك أن أجيز عنك ؟ قال : وهل عندك ذلك ! قالت : نعم ، قال : فافعلي ، قالت :

مقاويل بالمعروف خُرسٌ عن الخنا كرام يعاطون العشيرةَ سولها

فحمي حسان فقال :

وقافية مثل السنان رزئتها تناولت من جوّ السماء نزولها

---

١ السيوطي ، شرح شواهد (٣٣٦/١) .
٢ الاصابة (٦٧/٣ وما بعدها) ، رقم ٦٢٠٥) .
٣ الشعر والشعراء (٢٢٦/١) .

فقالت :

يراها الذي لا ينطق الشعر عنده ويعجز عن أمثالها أن يقولهـا

فقال حسان : لا أقول بيت شعر وأنت حية ، قالت : أوَ أومنك ؟ قال: وتفعلين ؟ قالت نعم ، لا أقول بيت شعر ما دمتَ حياً[1] .

ولحسان ديوان شعر مطبوع . طبع جملة مرّات . وقد شرح أيضاً ، وطبعت الشروح كذلك[2] .

وكعب بن مالك من شعراء يثرب كذلك . ويكنى أبا عبدالله وقيل أبا عبد الرحمن ، وهو ممن شهد العقبة ، وكان أحد شعراء رسول الله الذين كانوا يردّون الأذى عنه ، وكان مجوداً مطبوعاً قد غلب عليه في الجاهلية أمر الشعر . وذكر انه كان أحد الثلاثة الأنصار الذين قال الله فيهم : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض »[3] ، وهم كعب بن مالك الشاعر هذا ، وهلال ابن أمية ، ومرارة بن ربيعة تخلفوا عن غزوة (تبوك) فتاب الله عليهم وعذرهم ، وكانوا كلهم من الأنصار[4] .

وكعب بن مالك من أسرة أظهرت جملة شعراء ، فمالك والـد كعب كان شاعراً ، وعمه قيس كان شاعراً كذلك . وكان أولاد كعب وأحفـاده شعراء « مجيدون مقدمون في الشعر »[5] .

وقد ذكر (ابن سيرين) ان كعباً قال بيتين كانا سبب إسلام دوس وهما :

قضينا من تهامة كل وتر وخيبر ثم أغمدنا السيوفا
تخبرنا ولو نطقت لقالت قواطعهن دوساً أو ثقيفا

---

١ الشعر والشعراء (١/٢٢٦) .
٢ للوقوف على مواضع طبع الديوان والشروح راجـع بروكلمن ، تاريـخ الادب العربي (١/١٥٣ وما بعدها) .
٣ التوبة ، الاية ١١٨ .
٤ تفسير الطبري (١١/٤١) ، الاصابة (٣/٢٨٥ وما بعدها) ، (رقـم ٧٤٣٥) ، السيوطي ، شرح شواهد (١/٣٣٧) ، الخزانة (١/٢٠٠) ، (بولاق) ، البيان والتبيين (٣/٢٦) .
٥ الاغاني (١٥/٣٧) .

فلما بلغ ذلك دوساً ، قالوا : خذوا لأنفسكم لا ينزل بكم ما نزل بثقيف[1] .

وقال (ابن سيرين) أيضاً : « كان شعراء المسلمين : حسان بن ثابت ، وعبدالله بن رواحة ، وكعب بن مالك . فكان كعب يخوفهم الحرب ، وعبدالله يعيرهم بالكفر ، وكان حسان يقبل على الأنساب » ، وأما شعراء المشركين : فعمرو بن العاص ، وعبدالله بن الزبعرى ، وأبو سفيان بن الحارث ، وضرار بن الخطاب[2] .

ولكعب شعر في يوم أحد ، فيه :

فَجِئنا الى موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومقنع
ثلاثة آلاف ونحن نصية ثلاث مئين إن كثرنا أو أربع
فراحوا سِراعاً مُرجعين كأنهم جهامٌ هَراقت ماءه الريح مقلع
ورُحنا وأخرانا بطاء كأننا أسود على لحمٍ ببيشة ظلع

وله شعر في أيام الخندق ، وفي يوم بدر وفي المعارك الأخرى[3] .

ومن شعر كعب بن مالك قوله :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها فليغلبن مغالب الغالب

وفي رواية :

جاءت سخينة كي تغالب ربها فليغلبن مغالب الغلاب[4]

وكانت العرب تعير قريشاً بها، لأنهم كانوا يكثرون من أكلها ، ولذا كانت تعير به . والسخينة حساء يؤكل في الجدب . مازح (معاوية) الأحنف بن قيس فقال : ما الشيء الملفف في البجاد ؟ فقال : هو السخينة يا أمير المؤمنين . والملفف في البجاد وطب اللبن يلف به ليحمى ويدرك ، وكانت تميم تعير به .

---

١ الاصابة (٣/٢٨٦) ، (رقم ٧٤٣٤) .
٢ الاستيعاب (٣/٢٧٢ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .
٣ ابن سلام ، طبقات (٥٣ وما بعدها) ، الخزانة (١/٢٠٠ وما بعدها) ، (بولاق) .
٤ الاستيعاب (٣/٢٧٤) .

فلما مازحه معاوية بما يعاب به قومه ، مازحه الأحنف بمثله[1] . وروي أن رسول الله قال لكعب : أترى الله نسي قولك :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبنّ مغـالب الغلاب[2]

وجاء في رواية يضعفها العلماء ، ان (حسان بن ثابت) وكعب بن مالك ، والنعمان بن بشير ، دخلوا على (علي) فناظروه في شأن (عثمان) وأنشده كعب شعراً في رثاء عـثمان ، ثم خرجوا من عنده ، فتوجهوا الى معاوية فأكرمهم . وروي أنـه كان ممن رثى عثمان ، ولم يرد في الأخبار أنه ساهم في حرب علي ومعاوية[3] . وذكر أنه فقد بصره في آخر عمره ، وتوفي في زمن معاوية سنـة خمسين ، وقيل ثلاث وخمسين[4] .

و (عبدالله بن رواحة) من الخزرج ، وهو أبو محمد ، ويقال أبو رواحة ، ويقال أبو عمرو ، وكان من شعراء يثرب المعروفين : وهو أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدراً ، وكان ممن يكتب للنبي ، وكان ممن يكتب في الجاهلية ، وهو الذي جاء ببشارة وقعة بدر الى المدينة ، وبعثه رسول الله في ثلاثين راكباً الى (أسير ابن رقرام) (يسير بن رزام) اليهودي بخيبر فقتله . وقـد استشهد بمؤتة سنة سبع[5] . وليس له عقب . وهو خال (النعمان بن بشير) الأنصاري . وكان عظيم القدر في قومه ، سيداً في الجاهلية ، ليس في طبقته أسود منه . وكان في حروبهم في الجاهلية يناقض قيس بن الخطيم[6] .

وهو يختلف عن حسان في كونه محارباً ، اشترك مع الرسول في معاركـه ، ومات قتيلاً محارباً[7] .

---

١ تاج العروس (٩/٢٣٢) ، (سخن) .
٢ ابن سلام ، طبقات (٥٤) .
٣ الاصابة (٣/٢٨٦) ، (رقم ٧٤٣٤) ، الاغاني (١٥/٢٨ وما بعدها) .
٤ الاستيعاب (٣/٢٧٢) ، (حاشية على الاصابة) .
٥ الاصابة (٢/٢٩٨ وما بعدهـا) ، (رقـم ٤٦٧٦) ، شرح شواهد ، للسيوطي (١/٢٨٨) ، اعلام النبلاء (١/١٦٦) ، ابن حبيـب ، كنى الشعراء (٢٨٩) ، « أسير بن زارم » ، المحبر (١١٩) .
٦ ابن سلام ، طبقات (٥٤) ، الخزانة (٢/٣٠٤ وما بعدها) ، (هارون) .
٧ المحبر (١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٩ ، ٢٨٧ ، ٤٢١) .

وأكثر ما روي من شعره ، هو من الشعر الذي قاله في الإسلام . ولا سيما في معركة (مؤتة) . وروي أن الرسول قال له يوماً : قل شعراً تقتضيه الساعة وأنا أنظر اليك . فانبعث مكانه يقول :

إني تفرست فيك الخير أعرفه والله يعلم ان ما خانني البصر
أنت النبي ومن يحرم شفاعته يوم الحساب لقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

وفي رواية ابن هشام :

إني تفرست فيك الخير فافلة فراسة خالفت فيك الذي نظروا
أنت النبي ومن يحرم نوافله والوجه منه ، فقد أزرى به القدر[1]

وروي ان الرسول دعاه ، فقال له : كيف تقول الشعر اذا قلت ؟ قال أنظر في ذلك ثم أقول . قال : فعليك بالمشركين . فأنشده :

فخبّروني أثمان العبـــاء متى كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر

فظهرت الكراهة في وجه الرسول ، ان جعل قومه أثمان العباء ، فقال :

نجالد الناس عن عرض فنأسرهم فينا النبي وفينا تنزل السور
وقد علمتم بأنّا ليس يغلبنا حي من الناس إن عزوا وإن كثروا
يا هاشم الخير إنّ الله فضلكم على البريّة فضلاً ما له غير
إني تفرست فيك الخير أعرفه فراسة خالفتهم في الذي نظروا
ولو سألت أو استنصرت بعضهم في جل أمرك ما آووا ولا نصروا
فثبّت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

فتبسم الرسول وسرّ به[2] .

وروى « هشام بن عروة عن أبيه . قال : ما سمعت بأحد أجرأ ولا أسرع شعراً من عبدالله بن رواحة ، يوم يقول له رسول الله صلى الله عليـــه وسلم :

---

١ الاستيعاب (٢/٢٨٧) ، (حاشية على الاصابة) .
٢ ابن سلام ، طبقات (٥٥) .

قل شعراً تقتضيه الساعة وأنا أنظر اليك ، ثم أبدّه بصره ، فانبعث عبدالله بن رواحة يقول :

إني تفرست فيك الخير أعرفه والله يعلم ما إن خانني بصر»[1]

وروي أن الرسول قال « لعبدالله بن رواحة : ما الشعر ؟ قال : شيء يختلج في صدر الرجل ، فيخرجه على لسانه شعراً »[2] . وقد ذكر (ابن سلام) البيت المذكور وما بعده في قصيدة مطلعها :

فخبروني أثمان العباء متى كنتم بطارق أو دانت لكم مضر

ذكره في ضمن القصيدة ، ولم يجعله مطلعها[3] .

ولما دخل رسول الله مكة في عمرة القضاء ، وابن رواحة بين يديه وهو يقول:

خلّوا بني الكفّار عن سبيله اليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

قال عمر : يا ابن رواحة في حرم الله وبين يدي رسول الله تقول الشعر ؟ فقال النبي : خل عنه يا عمر ، فوالذي نفسي بيده لكلامه أشدّ عليهم من وقع النبل[4] . وقد كانت عمرة القضاء سنة ست من الهجرة[5] .

وقد روي هذا الرجز بزيادة واختلاف[6] . وقد ذكر (ابن هشام) ، بعد إيراده هذه الأبيات هذه الملاحظة : « نحن قتلناكم على تأويله الى آخر الأبيات : لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم ، والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين،والمشركون لم يقروا بالتنزيل،وإنما يقتل على التأويل من أقر بالتنزيل »[7].

---

١ شرح شواهد ، للسيوطي (١/٢٩٣) .
٢ المصدر نفسه (١/٢٨٩) .
٣ ابن سلام ، طبقات (٥٥) .
٤ السيوطي ، شرح شواهد (١/٢٩٠) .
٥ ابن هشام ، سيرة (٢/٢٥٤) ، (حاشية على الروض) .
٦ ابن هشام ، سيرة (٢/٢٥٥) ، (حاشية على الروض) ، ابن سيد الناس (٢/١٤٩) ، اعلام النبلاء (١/١٦٩) ، ابن سعد ، طبقات (٣ القسم الثاني ٨٠)، الروض الانف (٢/٢٥٥) .
٧ ابن هشام ، سيرة (٢/٢٥٥) .

وكان (النعمان بن العجلان) الزرقي لسان الأنصار وشاعرهم ، وكان رجلا أحمر قصيراً تزدريه العين ، وكان سيداً ، وله شعر يفخر بقومه على قريش من جملته :

فقل لقريش نحن أصحاب مكة ويوم حنين والفوارس في بدر

* * *

نصرنا وآوينا النبي ولم نخف صروف الليالي والعظيم من الأمر
وقلنا لقوم هاجروا مرحباً بكم وأهلاً وسهلاً قد أمنتم من الفقر
نقاسمكم أموالنا وديارنا كقسمة أيسار الجزور على الشطر

ثم تعرض لموضوع الخلافة ، وقصة انتخاب (سعد) لها ، وتعيين قريش أبا بكر خليفة ، ثم تعرض لحق علي فيها [1] .

وكان (علي بن أبي طالب) استعمل (النعمان) هذا على البحرين ، فجعل يعطي كل من جاء من (بني زريق) ، فقال فيه (أبو الأسود) الدؤلي :

أرى فتنة قد ألهت الناس عنكم فندلا زريق المال ندل الثعالب
فإن ابن عجلان الذي قد علمتم يبدد مال الله فعل المناهب [2]

---

١ الاستيعاب (٣/٥٢١) ، (حاشية على الاصابة) .
٢ الاصابة (٣/٥٣٢) ، (رقم ٨٧٤٨) .

الفصل الرابع والستون بعد المئة

شعراء ثقيف

وثقيف من القبائل التي لم تنجب عدداً يذكر من الشعراء . وشاعرهم الوحيد الذي نال شهرة ، وظهر أمره هو (أمية بن أبي الصلت) الثقفي . وقد علل (ابن سلام) قلة الشعر بالطائف بقوله : « وبالطائف شعراء ، وليس بالكثير ، وإنما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم ، والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائرة ولم يحاربوا ، وذلك الذي قلل شعر عُمان وأهل الطائف »[1] .

وقد عرفت ثقيف بفصاحة لسانها ، وبمقدرتها في الكتابة ، ولهذا ورد ذكرها في حادث تدوين القرآن .

ومن شعراء ثقيف (أبو الصلت بن أبي ربيعة) ، وهو والد (أمية بن أبي الصلت) ، وغيلان بن سلمة ، وكنانة بن عبد ياليل[2] ، وأبو محجن الثقفي. وكانت زوجة (أبي الصلت) : (رُقيّة بنت عبد شمس بن عبد مناف) ، فهي من قريش . وهي والدة (أمية)[3] .

ونسبت الى (أبي الصلت) قصيدة زعم أنه مدح فيها أهل فارس حين

---

١ ابن سلام ، طبقات (٦٥ وما بعدها) .
٢ ابن سلام ، طبقات (٦٦) .
٣ الشعر والشعراء (١/٣٦٩) .